كيفيّة متابعة الندوة الدولية حول العنصريّة

محمد صالح الخريجي(*)

وفي ما يخصّ الندوة الدوليّة حول العنصريّة المنعقدة في دوربان، التي يجزم كلّ الأطراف على مدى فظاعة الأسباب الدافعة إلى انعقادها وعلى مدى أهميّة أشغالها وخطورة نتائجها وانعكاساتها، فإنّه يتحتّم على المجموعة العربيّة بالخصوص إذا أرادت تقويم هذه الندوة عامة ودور المنظمات العربيّة غير الحكوميّة في الإعداد لها وتنظيم المساهمة في أشغالها وتحقيق نتائجها ومقرّراتها، أن تتوخّى الموضوعيّة كلّ الموضوعيّة وتتجنّب المجاملات التي أفضت سابقا وستفضي إلى تراكم القصور وتواصل الانقسامات والتشرذم ومحدوديّة الفعل والنّجاعة.

ومن هنا أمكن القول ـ دون مبالغة ـ إنّ الجهود التحضيريّة لعقد هذه الندوة وللمشاركة في أشغالها كانت محدودة نسبيّا.

وبالمقارنة مع ما حقّقته المؤتمرات التحضيريّة لندوة دوربان، فإنّنا نلاحظ أنّ المؤتمرات التحضيريّة المنعقدة في دكار وسترازبورغ وسنتياغو دي شيلي قد التأمت في الآجال المحدّدة وقد اتسمت بالجرأة في وضع برامجها

---

* عضو مجلس إدارة المعهد العربي لحقوق الإنسان.

وبالموضوعيّة والوضوح في طرح عديد القضايا ومناقشتها. كما أنّه كان من اللاّزم استغلال انعقاد المؤتمرات التحضيريّة، المنعقدة في الآجال، من أجل التنسيق المحكم بين المنظمات غير الحكوميّة العربيّة منها في الدرجة الأولى وغير العربيّة في الدرجة الثانية، قصد توحيد خطة التحرّك وتحديد المفاهيم وضبط التوصيات.

كان لابدّ من أن أتعرّض إلى الأسباب الدافعة إلى النظر في كيفيّة متابعة هذه الندوة وأن أعرّج بصفة سريعة على كيفيّة متابعتها، وهذا، دون شك، لما حدث فيها وحولها ولما حبّر في شأنها من مقالات صحفيّة إخباريّة ونقديّة ولقيمة توصياتها وخطورة انعكاساتها .

فحريّ بنا، من أجل كلّ ما تقدّم أن نتساءل لِمَ يجب التّعرّض لمسألة كيفيّة متابعة هذه الندوة. والجواب على كيفيّة متابعة هذه الندوة يكمن في اعتقادي في النقاط التاليّة :

1ـ خطورة قضيّة العنصريّة والتمييز العنصري ومساسها بالواقع الحالي في جميع المجتمعات وخاصّة في علاقة مجتمعات الشمال بالجنوب.

2 ـ أهميّة الرهانات المطروحة في ندوة دوربان، والتي دفعت إلى تجنّد عالميّ من الجميع باختلاف المشارب والأهداف والمستويات، حكومية وغير حكومية قبل الندوة وأثناءها.

3 ـ مساس العنصريّة والتمييز العنصري وكره الأجانب والتّعصّب بحياة الإنسان اليوميّة وبذاته وبشعوره وبعواطفه وبأحلامه.

4 ـ استمرار هذه الظواهر بأشكال متعدّدة ومتنوّعة رغم ما صرّحت به الأمم المتّحدة منذ نصف قرن بكلّ جلاء من «أنّ كلّ عقيدة تقوم على تفوّق جنسيّ على آخر أو تميّز بينهما، خاطئة علميّا، مدانة أخلاقيّا، جائرة ومشينة اجتماعيّا»، ورَغم وجود عديد آليات الدّفاع عن حقوق الإنسان الدوليّة وعديد القوانين القوميّة والمحليّة لمقاومة هذه الآفات التي تنخر الإنسانيّة.

5 ـ خطورة ما سبق هذه الندوة العالميّة من محاولات عرقلة أشغالها والحدّ من تجذّر قراراتها ونفاذها من طرف الولايات المتّحدة الأمريكيّة والحكومة الإسرائيليّة خاصة بالتهديد المباشر بمقاطعة أشغال الندوة.

6 ـ التصدّي المتعنّت الصادر عن المنظمات غير الحكوميّة الصهيونيّة إبّان أشغال المنتدى العالمي للمنظّمات غير الحكوميّة في دوربان وساعة إصدار البيان الختامي وإثره.

7 ـ الرقابة الصّارمة التي كرّستها وفود الحكومات الممثّلة في الواقع لرغبات الولايات المتّحدة الأمريكيّة ولإسرائيل، والعاملة على تمرير تلك الرّغبات عبر وفود بعض المنظّمات غير الحكوميّة، وفرضها على مداولات اللّجان الحكوميّة وقراراتها.

8 ـ التنسيق غير المحكم بل الواهي والمختلّ أحيانا بين بعض الحكومات والمنظمات غير الحكوميّة العربيّة وغيرها ممّن تمثّل الشعوب المضطهدة ضحيّة العنصريّة والميز العنصري والتي تعيش ويلات كره الأجانب والتعصّب.

9 ـ خطورة الانتهاكات العنصريّة التي تقوم عليها الندوة وقدمُ مضارّها، وتعدّد المجالات التي تشملها، وشساعة الرقعة الجغرافيّة التي انتشرت فيها، وتعدّد الشعوب والفئات التي تعاني من جرّاء ويلاتها.

من أجل هذه الأسباب مجتمعة، تعرّض البيان الختامي لمنتدى المنظمات غير الحكوميّة والبيان الختامي لندوة الأمم المتّحدة إلى برنامج عملي قابل للإنجاز الفعلي، يحدّد كيفيّة متابعة هذه الندوة، ويقوم على الفعل لا على الكلمة الفصيحة المؤثرة حسب ما جاء في ديباجة البيانين الختاميين.

ورغم اختلاف برامج الحكومات وبرامج المنظمات غير الحكوميّة حول أشكال التصدّي والمتابعة، إلاّ أنّهما حاولا الإلمام بكلّ ما من شأنه أن يساعد على تطبيق مختلف التوصيات التي انبثقت عن مؤتمر العنصريّة. واعتمادا على البرنامجين السّابقين وعلى تجربتنا في هذا المجال، يمكن أن نشير إلى أنّه بإمكاننا من خلال برنامج المنظمات غير الحكوميّة حول متابعة هذه الندوة

والسعي لتحقيق توصياتها الهامّة، أن نحدّد مجالات التحرّك وقنوات التوجّه وآليات وأساليب تحقيق هذه التوصيات، وبالتالي تلافي النقص الملحوظ في بيان الحكومات والتقدّم أكثر فأكثر نحو اجتثاث جذور العنصريّة والتمييز العنصري. فمجالات التحرّك، يجب أن تكون على المستوى الدّولي والجهوي والقومي والمحلّي، أمّا قنوات التوجّه الخاصّة بتجسيد هذه النتائج فهي :

أ) المنظّمات العالميّة والجهويّة والقوميّة والمحليّة وخاصّة منها منظّمات الدّفاع عن حقوق الإنسان.

ب) شبكات الدّفاع عن المتضرّرين من الأقليّات واللاّجئين والمهاجرين وضحايا التمييز الجنسي والمرأة والأجانب والأطفال وخصوصا الفلسطينيين باختلاف مواقعهم الجغرافيّة.

ج) هيئات الحقوقيين والمشرّعين والمحامين.

د) الإعلام بوسائله المختلفة.

ه) التكنولوجيا الإعلاميّة بوسائلها المختلفة.

وبخصوص آليات وأساليب متابعة التوصيات الصّادرة عن ندوة دوربان وتحقيقها، يمكن استغلال بعض الآليات مثل :

* إجراء دراسات معمّقة حول البيان الختامي والتوصيات وبرامج وطرق العمل التي اعتمدتها المنظمات غير الحكوميّة العربيّة.

* رصد الانتهاكات وتوثيقها وتعميق التفكير فيها ونشر الوعي بها وتطوير ثقافات المجتمعات حتّى تلمّ بهذه الظواهر المشينة.

* التنسيق بين المنظمات العالميّة والجهويّة والقوميّة والمحليّة.

* تنظيم لقاءات وندوات حول الظواهر العنصريّة، والتحرّك في اتّجاه نشر الوعي بخطورة هذه الظواهر قصد الضغط على الحكومات لتطبيق توصيات ندوة دوربان.

* دفع الدّول والمنظّمات المختصّة إلى تبنّي التوصيات الصّادرة عن المؤتمر وسنّ القوانين لاجتثاث هذه الظواهر المشينة والخطرة.